مهترئة، إلى هامشيين، إلى منبوذين إلى آخر التسميات. جيش العمل الاحتياطي، هذا، هو الذي تجند البورجوازية من بين صفوفه غالباً ما يلزمها لأغراضها السياسية، والعسكرية، والاجرامية، لا سيما ان النشاط السياسي الثوري في اوساطه، غالباً ما يكون ضعيفاً، أو حتى معدوماً.

العامل الموضوعي الآخر، هو كون العمال، في ظل النظام الرأسمالي، لا يستطيعون كسب حياتهم الا بالخضوع للاستغلال الرأسمالي، أي إلا بأن يؤجروا قوة عملهم للرأسمالي، ويقدموا مقابل ذلك، من الجهد المفيد، اكثر بكثير مما أخذوا.

اذن، لكي يناضل العامل يجب ان يعيش أولاً، ولكي يعيش يجب ان يخضع للاستغلال الرأسمالي، أي يجب: إما ألا يناضل، أو ألا ترتفع حدة نضاله الى درجة تتعارض ومعيشته. هذا نوع من الحلقة المفرغة، التي تستفيد منها الرأسمالية طبعاً الى درجة كبيرة، وتستغلها أقصى استغلال، ولكنها، في الوقت عينه، ليست مستعصية على العمل الثوري، كما دلت التجربة التاريخية. إنما يحتاج الأمر الى طليعة ثورية ذات أفق نظري واستراتيجي واسع، تستطيع توظيف الطاقات الايجابية في المجتمع لصالح الثورة. هذا يتم تاريخياً ويتنامى ويتطور؛ ولسنا هنا في معرض التحدث عنه، ولكن لا بد من الاشارة، إلى ان غيابه، او ضعفه يترك المكان خالياً لكل النشاطات السياسية الرجعية والمضادة للثورة، ويترك الكادحين الفقراء، من كل نوع، والطبقة العاملة أيضاً، فريسة للقيادات الرجعية والبورجوازية.

□ امتلكت الصهيونية الدولية عاملاً مساعداً اضافياً، وهو ان مجموعات الفقراء والعمال الذين غررت بهم ونقلتهم الى فلسطين، وضعوا في ظروف لا يستطيعون فيها، عملياً، سوى الخضوع، في النهاية، للقيادة الصهيونية.

لم يكن العمال الوافدون، رغم ظروفهم السيئة، فريسة سهلة للقيادة الصهيونية، انما وجد بينهم مناضلون أشداء، سلطت عليهم الصيهونية الفلسطينية والسلطة البريطانية معاً مختلف انواع التصفيات، ومنها الاجرامية.

التنظيمات الصهيونية السياسية، منذ أوائل هذا القرن، كانت إما يمينية (دينية، أو دينية ـ عنصرية)، وهي أقلية، (ولكن أقلية هامة جداً)، أو صهيونية ـ اشتراكية (أو صهيونية ـ اجتماعية بتسمية أدق)، وهي أغلبية، من جهة، وقادت عملية الاستيطان، والاستعمار الصهيوني في فلسطين، كما قادت، فيما بعد، الحكم في اسرائيل، من جهة أخرى.

□ كان التمهيد لظهور الصهيونية «الاشتراكية» في فلسطين هو انشاء الهستدروت.

اسم الهستدروت يعني «النقابة العامة للعمال في ايرتس ـ يسرائيل». «ايرتس ـ يسرائيل» تعني، هنا، «ارض ـ اسرائيل»، ولكن بالحدود التوراتية، اي بالحدود المتخيلة لدى الصهيونية الدولية، وتشمل أراضي واسعة في الشرق الاوسط.

اذن: اسم الهستدروت ذاته يعبر منذ العام ١٩٢٠، أي منذ انشاء النقابة، عن الوظيفة الاستعمارية، الاستيطانية، التي يفترض أن تقوم بها.

لقد ظهرت الهستدروت الى الوجود بتأثير عاملين متناقضين: الأول هو شعور كادحي المهاجرين الأوروبيين بالحاجة الى تنظيم نقابي، يضمهم، والثاني هو شعور القيادة الصهيونية بالحاجة الى تشكيل اجتماعي يضم فقراء المهاجرين وفئاتهم الوسطى، ويسخرهم في تنفيذ المخططات، التي هُجِّر هؤلاء الى فلسطين من أجلها.